

الربط النصي بالضمير في القرآن الكريم عند الزمخشري وأبي حيان (دراسة نحوية دلالية)

فرح ناز*

مدخل

يعدّ الربط النصي بالضمير بين القديم والحديث منهجاً مقوماً لدراسة الفكر الانساني بصفة عامة، والفكر اللغوي بصفة خاصة، ولذا قامت دراسات كثيرة في العصر الحديث على نتاج القدماء، وتلك يحتاج إليها الدارسون في وقتنا الحاضر، ومن ذلك دراسة النص وتحليله، والذي أكدته القراءة لتراثنا العربي، خاصة البلاغة والتفسير والنقد ولا سيما النحو.

إنّ القرآن الكريم أوضح نص تظهر فيه معالم التباسك النصي، فهو النص الالهي المعجز في مفرداته ونظمه ومعناه، كما هو معجز في تماسكه وانسجامه، ولا ريب أن الدارس يتعامل معه على أنه وحدة مترابطة بعضها مع بعض حتى تكون المفردة الواحدة متسقة الدلالة ومنتظمة التركيب.

فإن الربط النصي بمرجع الضمير من المسائل النحوية التي يتضمنها تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان، لذا حاولت دراسة الكثير من المسائل النحوية والدلالية لعودة الضمير ضمن تفسيرين للربط والاتساق النصي، وحاولت استقراء نظام الاتساق والتباسك في هذين التفسيرين، وتحليل نماذج منها تحليلًا نحويًا دلاليًا للوقوف على طريقة الزمخشري، وأبي حيان في تحليل معاني الآيات القرآنية قصد الوقوف على بيان أوجه صلتها بمقاصد القرآن الكريم.

كما تهدف لسانيات النص إلى حلّ البنى النصية والكشف عن العلاقات والروابط ضمن اتساق النصوص وتماسكها، ويظهر هذا من قول الدكتور صبحي إبراهيم الفقي، فهو قال:

" ذلك الفرع من علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك

* طالبة الدكتوراه، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد.

بدراسة جوانب عديدة أهمهما: الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه، والإحالة، أو المرجعية، وأنواعها، والسياق النصي ودور المشاركين في النص المنطوق على حدّ السواء"^(١).

وذكر الدكتور محمد حماسة عبداللطيف:

"إن لسانيات النص تدرس وتصف العلاقات والروابط اللغوية مثل العطف، والسببية، والاستدراك، والتحليل، والعلاقات الدلالية، والرأسية بخاصة كالمناسبة بين الآيات والسور عند المفسرين للقرآن الكريم"^(٢).

هذه الاقوال كلها تثبت أن دراسة اللسانيات النصية موضوعها هو "النص" والذي يتمثل في وصف، وتحليل، وسائل تماسك وانسجام عناصر ومكونات بنية النص اللغوي والبلاغي بحيث الشكل والدلالة، والصوت، والبلاغة حسب النص المدروس لترابط النص، وتكون هذا الربط في الجمل بين المسند والمسند إليه، ويعتبر الضمير وسيلة مهمة للربط بين المسند والمسند إليه.

ترجمة الزمخشري وأبي حيان:

الزمخشري: هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، يُلقَّب بجار الله لأنه جاور مكة زمناً. وُلد بزخشر في السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧ هـ وكان مولده في عهد السلطان ملك شاه السلجوقي، وهو عهد ازدهرت فيه الاداب والفنون ولقي فيه العلماء والادباء الرعاية والحماية بفضل وزيره (نظام الملك) المعروف بحبه للعلم والعلماء.

ونشأ أبو القاسم في مسقط رأسه زخشر ودرس بها، وتلقى فيها بعض علومه ثم رحل إلى (بخارى) للاستزادة من طلب العلم"^(٣).

ولد الزمخشري في خوارزم، وكان هذا البلد يموج بالاعتزال ويعج بالمعتزلة، وقد ولد بها ونشأ في ربوعها ودرس دراسته الأولى على علمائها، وكان أستاذه "أبو مضر" أحبَّ أساتذته إلى قلبه وهو معتزلي نشر

١ - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية (القاهرة: دار قباء، ٢٠٠٠م) ط١، ج١، ص٣٧.

٢ - محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١م) ط١، ص٣٧.

٣ - انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء (القاهرة: دار المأمون، ١٣٥٥هـ) ج١٩، ص١٢٦ - ١٣٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، (مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م) ط١، ج٤، ص٢٥٤.

الاعتزال بخوارزم، فدان الزمخشري بمذهب المعتزلة ودافع عنه وأيد أصوله في تفسيره الكشاف^(٤).

ألّف الزمخشري مؤلفات كثيرة ومنها: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، وهو من أشهر مؤلفات الزمخشري ألّفه بمكة حين مجاورته الثانية لها، وقد طبع الكشاف طبعات عديدة في بولاق وكلكتا وبيروت وطبعات أخرى بمصر، وطُبع همامشه في بعض الطبعات كتاب الانتصاف من الكشاف لابن المنير، وحاشية السيد الجرجاني.

أبوحيان: اسمه محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، وُلد في أواخر شوال سنة ٦٥٤هـ في (مَطَخْشَارَش) محلّة من حاضرة غرناطة، واشتهر بكنيته أبي حيان وغلبت عليه ولازمته، وهي ترجع إلى والده (حيان) تلقى علومه الأولى في مدارس ومساجد غرناطة كأبناء عصره في ذلك الوقت، واتصل بشيوخ بلده وأخذ عنهم في مختلف العلوم، وتقل في بلاد الاندلس طلباً للعلم والتلقي من الشيوخ^(٥). كتب أبو حيان كتباً كثيرة في العلوم المختلفة ولم يقف به الحدّ عند التّأليف بالعربية، بل ألّف كتباً بالتركية والفارسية والحبشية، يقول عنه تلميذه الصفدي:

"لم أرَ في أشياخي أكثر اشتغالا منه ولم أره الا يسمع أو يشتغل أو يكتب ولم أره على غير ذلك"^(٦).

ومن مؤلفات أبي حيان المطبوعة البحر المحيط وهو أكبر كتبه الدينية، وسماه (الكتاب الكبير) في ثمانية أجزاء وقد طُبع في مصر سنة ١٣٢٨هـ بمطبعة السعادة.

اهتمامها في كتابيها الكشاف والبحر المحيط بمرجع الضمير للربط النصي:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر الربط بالضمير في تفسير القرآن الكريم كما جاء في تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان، والزمخشري هو أحد رؤوس المعتزلة وتفسيره أشهر تفاسيرهم التي وصلت إلينا إن لم يكن من أشهر كتب الاسلام على الاطلاق، وهذا التفسير اهتم بتوظيف المعطيات البلاغية والنحوية والدلالية لخدمة النص القرآني في مجال النحو والبلاغة وعلم الدلالة، ولكنني اهتمت بالتناول القرآني التناول النحوي الدلالي لقضية الربط النصي بالضمير وأثرها في توجيه دلالة النص القرآني، فالكشاف كتاب جمع الكثير من العلوم وإن كثرت الدراسات حوله فهي بعد لم تكشف الا عن النزر اليسير من أسراره

٤ - وفيات الأعيان، ج٤، ص ٢٥٥.

٥ - انظر: الوافي بالوفيات الصدي، جمعية المستشرقين، الألمانية، ج٥، ص ٢٦٧.

٦ - الوافي بالوفيات، ج٥، ص ٢٦٧.

وكنوزه فذكر الامام الزمخشري فيه عن عودة الضمير للربط والتعلق النصي، وتوفي بخوارزم بعد عودته من مكة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة.

وإن تفسير الكشاف للزمخشري من أهم كتب التفاسير في الجانب النحوي وهو مصدر مهم لطالب اللغة وطالب التفسير على حدّ السواء، وقد أفاض تفسير الكشاف بالأمثلة لجميع أنواع الربط النصي بضمير العائد إلى ما قبلها، وإن البحث في موضع مرجع الضمير وأثره الدلالي عنده في تفسيره كان لغرض الجمع بين جوانب ثلاثة هي:

١- الربط النصي

٢- والتفسير

٣- والدلالة للألفاظ

وهذا ما لمستّه عند الزمخشري.

"يعد كتاب البحر المحيط من كتب الاعراب والتفسير والنحو والصرف والبلاغة والقراءات، وذلك لأمرين:

الأول: إمامة مؤلفه في الصرف والنحو إلى جانب إمامته في القراءات ومكانته الكبرى في العلوم

العربية الأخرى، والتفسير والحديث والاحكام الفقهية والاحكام العقديّة.

الثاني: أنّه من أوسع كتب أبي حيان إن لم يكن أوسعها وأكبرها على الاطلاق"^(٧).

"إذ ألفه بعد ما تشبع من العلوم المختلفة والفنون، وبعد أن تقدم سنّه وكمل عقله ورسخ علمه، فقد ألفه أبو حيان بعد أن ألقى عصا التسيار في مصر، وبعد أن عُيّن مدرّس لعلم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور، فابتدأ في تأليفه في أواخر عام ٧١٠هـ بعد أن بلغ عمره ٥٧ عاماً"^(٨).

يذكر أبو حيان منهجه في تفسيره فيقول:

"وترتبي في هذا الكتاب أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج إليه من

اللغة والاحكام النحوية لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول

٧- دكتور إبراهيم عبدالله رفيدة، النحو وكتب التفاسير (ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع الإعلان، ١٩٩٠م) ط٣،

ج٢، ص ٩٤٧-٩٤٩.

٨- خديجة الحديثي، أبو حيان النحوي (بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٦٦م) ط١، ص ١٩٠.

موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه، ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب، ونسخها، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها^(٩).

وكان العلماء يطلقون على أبي حيان لقب (أمير المؤمنين في النحو)، ويعدونه شيخ النحاة، وهو الذي جسر الناس على قراءة كتب ابن مالك وتداولها، وقد أولى النحو أهمية كبيرة في تفسير القرآن الكريم وتفهم معانيه وإدراك أسرارها، فبث في تفسيره الكبير (البحر المحيط) المسائل النحوية الكثيرة وأثبت الآراء المختلفة ولم يكتف بما ذكره في هذا الكتاب وفي كتبه الخاصة بالدراسات الإسلامية والقروانية وإنما خاض غمار التأليف في اللغة والنحو وترك لنا كتباً كثيرة لها قيمتها وأهميتها في دراسة النحو العربي وتطوره^(١٠).

يعد كل من الزمخشري وأبي حيان من المفسرين الاجلاء، حيث يتفقان نوعاً ما في المنهج ويتقاربان بالزمان وإن كان تفسير الزمخشري من آثار الشيخوخة وأبي حيان من آثار الشباب، إلا أنها اختلفا في عملهما العلمي، إضافة إلى كون هذين العلمين ممن جعلوا محور اهتمام المتقدمين حيث قورن بين تفسيريهما لكون تفسير أبي حيان أنقل وأجمع وأخلص، وتفسير الزمخشري الخصب وأغوص.

أحاول هنا اكتشاف التوافق والاختلاف لمرجع الضمير الذي يربط الجمل والفقرات بعضها ببعض في التفسيرين الكبيرين، وأقوم بكشف دور هذه الضمائر ومدى استخدامها عند الشيخين الزمخشري وأبي حيان في تفاسيرهما، وسأقف قليلاً لبيان مفهوم الربط والترابط والروابط بياناً موجزاً، وبعد هذا أنتقل إلى أهمية الربط النصي في الدراسات النحوية واللغوية ليكون ذلك الخطوة الأولى لاختيار تصنيف واحد لمرجع الضمير ودراسته عند الزمخشري وأبي حيان في القرآن الكريم دراسة مقارنة عندهما وما يترتب عليه من أثر دلالي.

تعريف الربط النصي في اللغة والاصطلاح:

الربط في اللغة:

قال صاحب الصحاح: "ربطت الشيء أربطه، وأربطه أيضاً عن الاخفش، أي: شدته، والرباط ما تشد به القربة والدابة وغيرهما، والجمع رُبط"^(١١).

-
- ٩ - أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ) بدون الطبعة، ج ١، ص ٣.
- ١٠ - انظر: دكتورة خديجة الحديثي، أبو حيان النحوي، ص ١٠١.
- ١١ - مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية (دار لونغمان، ١٩٩٧م) ط ١، ص ١.

والقاموس المحيط حيثُ قال صاحبه: "ربطه يربطه ويربطه شده فهو مربوط وربيط، والمرابطة: أن يربط كلُّ من الفريقين خيولهم في ثغره، وكلُّ معدِّ لصاحبه"^(١٢).

وورد في المعجم الوسيط: "ربط جأشه رباطة: اشتد قلبه فلم يفر عند الفزع والشيء ربطاً: شده فهو مربوط وربيط، وربط الله على قلبه بالصبر: ألهمه إياه وقواه، والرباطة: العلاقة والوصلة بين الشئين، يقال: رباطة الادباء، ورباطة القراء"^(١٣).

ونرى من هذه المعاني اللغوية أن للربط معاني كثيرة:

- ١- منها شدُّ الشيء بعضه إلى بعض كي يصبح مترابطاً متماسكاً.
 - ٢- ومنها القوة، أي أن الربط يعني تقوية الشيء وتثبيتته.
 - ٣- ومنها الوصل بين مدركين وجمعها لاشتراكهما في شيء أو أمر ما.
- ومن ملاحظة المعنى اللغوي المتنوع لمادة (ربط) نرى أن المعنى واحد لا يخرج عن الوصل وعلاقة الشيء بالآخر فالالفاظ إذاً متعددة والمعنى واحد.

ثانياً: تعريف الربط النصي في اصطلاح النحاة واللغويين:

عند ابن جنِّي جاء الربط بالحرف: (الاتباع) ويستعملُ عبارة (معقود بما قبله) أو (معقود بغيره) ويستعملُ كلمة (التعليق)^(١٤).

وعبد القاهر الجرجاني: عنده كلمة (تلتبسُ) وكلمة (يتعلق به) بمعنى الربط^(١٥).

والنحاة يطلقون على الضمير أو ما ناب عنه من الالفاظِ الرابطةِ تسمية: "الرباط" أي: الرباط اللفظي، أما الرباط المعنوي فهو رباط واحد فقط وهو العموم، أما إن كانت الجملةُ نفس المبتدأ في المعنى فعندئذٍ يستغنى عن الرباط، أما إذا كان الربطُ بين الفعل والفاعلِ والربطُ بين المبتدأ والخبر المفرد فهو رباطٌ معنويٌّ أيضاً، وهو الإسناد. ويبيّن المحدثون مصطلحين لهما علاقة بالربط اللفظي والمعنوي، وهما: الارتباط

١٢ - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م) ط ٣،

جذر (رب ط)، ج ٢، ص ٣٦٠.

١٣ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م) ط ٤، ص ٣٢٣.

١٤ - سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٢٥٢ - ٢٧٠.

١٥ - انظر: دلائل الإعجاز، ص ٤٤.

والربط، ومصطلحاً آخر هو: الانفصال^(١٦).

أما العلاقة النحوية الوثيقة بين أجزاء الكلام، فتأتي بدون واسطة لفظية، فهي مثل علاقة الشيء بنفسه، أما الربط فهو: العلاقة النحوية بين أجزاء الكلام، وتستخدم فيها أداة لفظية أو ضمير بارز، وأما الانفصال فهو: انعدام العلاقة النحوية الدلالية بين أجزاء الكلام، فلا فائدة حينئذ من التركيب، ولا يسمى ذلك كلاماً.

ويبين اللغوي "تون فان داك" أن علم النص علم متداخل الاختصاصات يهدف أساساً إلى تحليل عام للنصوص، ويتعلق بكل أشكال النص الممكنة وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها^(١٧).

كما تهدف لسانيات النص إلى حلّ البنى النصية والكشف عن العلاقات والروابط ضمن اتساق النصوص وتماسكها، ويظهر هذا من قول الدكتور صبحي إبراهيم الفقي فهو قال: "ذلك الفرع من علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها: الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي ودور المشاركين في النص المنطوق على حدّ السواء"^(١٨).

وذكر الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف: "إن لسانيات النص تدرس وتصف العلاقات والروابط اللغوية مثل العطف، والسببية، والاستدراك، والتحليل والعلاقات الدلالية والرأسية بخاصة كالمناسبة بين الآيات والسور عند المفسرين للقرآن الكريم"^(١٩).

هذه الأقوال كلها تثبت أن دراسة اللسانيات النصية موضوعها هو "النص" والذي يتمثل في وصف وتحليل وسائل تماسك، وانسجام عناصر، ومكونات بنية النص اللغوي والبلاغي، بحيث الشكل والدلالة والصوت والبلاغة حسب النص المدروس لترابط النص، وتكون هذا الربط في الجمل بين المسند والمسند إليه، ويعتبر الضمير وسيلة مهمة للربط بين المسند والمسند إليه.

الربط النصي بالضمير في الآيات القرآنية عند الزمخشري وأبي حيان:

فإن الربط النصي بالضمير من المسائل النحوية التي يتضمنها تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط

١٦ - انظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط، ص ١٥٤ - ١٥٥، ٢٠٣ - ٢٠٥.

١٧ - انظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، ص ١٤ - ١٥.

١٨ - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج ١، ص ٣٧.

١٩ - محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، ص ٣٧.

لأبي حيان، وقد درست كثيرا من المسائل النحوية والدلالية لعودة الضمير ضمن تفسيرين للربط والاتساق النصي، وحاولت استقراء نظام الاتساق والتناسك في هذين التفسيرين، وتحليل نماذج منها تحليليا نحويا دلاليا للوقوف على طريقة الزمخشري وأبي حيان في تحليل معاني الآيات القرآنية قصد الوقوف على بيان أوجه صلتها بمقاصد القرآن الكريم.

مفهوم الضمائر:

ذكر السكاكي: "اعلم أن الضمائر عبارة عن الاسم المتضمن الإشارة إلى المتكلم أو المخاطب أو إلى غيرهما بعد سابق ذكره"^(٢٠).

وعرفه المرادي بقوله: "الضمير هو الموضوع لتعيين مسماه مشعرا بتكلمه أو خطابه أو غيبته"^(٢١). تستخدم الضمائر بدلا عن الأسماء والصفات التي لا يُلزم تكرارها، فالربط بالضمير أَدعى إلى الخفة والاختصار ويكون بديلاً لإعادة الذكر في الاستعمال"^(٢٢).

فالضمير أو المضمَر اسم يَكْنَى به عن الظاهر من متكلم أو مخاطب أو غائب"^(٢٣).

أنواع الضمائر:

تنقسم الضمائر في اللغة العربية إلى ضمائر الحضور وضمائر الغياب، ثم تتنوع ضمائر الحضور إلى متكلم وإلى مخاطب، ونعرف ضمائر المتكلم تشتمل على متكلم وضمائر الخطاب تشتمل على مخاطب أما ضمير الغيبة فيشتمل على مذكور يعد مرجعا فلا يتضح معنى الضمير الا بواسطة ذلك المرجع"^(٢٤).

دور الضمائر في الربط النصي:

إن للضمير دوراً مهماً في الربط النصي بين المسند والمسند إليه عندما يأتي المسند في صورة الجملة

-
- ٢٠ - أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندواوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م) ط١، ص ١١٢.
- ٢١ - أبو محمد الحسن بن قاسم المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان، (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠١م) ط١، ج١، ص ٣٥٨.
- ٢٢ - انظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ج١، ص ١٣٧.
- ٢٣ - أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، مجالس ثعلب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: دار المعارف) ط٢، ص ٣٣٢-٣٣٣.
- ٢٤ - دكتور تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ج١، ص ١٣٨.

مثل: الخبر والحال والصفة والصلة والاسم المنصوب على سبيل الاشتغال والبدل وذلك عندما يعود الضمير إلى المسند إليه وقد يكون هذا الضمير العائد ظاهراً أي بارزاً في معموله وقد يكون مستتراً حكماً، فالربط بالضمير هو من أهم وظائف الربط بين أجزاء الجمل وبدونه يضيع الترابط بين أجزائه عند علماء العرب. فرّق الجرجاني بين الإظهار والإضمار بقوله: الإظهار للقطع والاستئناف ووضع الكلام وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله، والإضمار وضع الكلام وضعاً يحتاج فيه إلى ما قبله^(٢٥).

يرى سيبويه أنّ الربط عندما يكون بالضمير العائد في النص يكون بالمعنى ولا يكون بالاعراب، والثبوت على ذلك في المواضع والمحلات الكثيرة التي يحتلها فيها يربطه، فقد يأتي رفعاً ونصباً وجرّاً، وهو ما يؤهله، لأنه يكون رابطاً بين أجزاء الجملة الواحدة، وكذا بين الجمل المستقلة في النص حيث لا تشترط وحدة البنية العاملية^(٢٦).

ويبين الدكتور مصطفى حميدة أن الضمير البارز قرينة لفظية تتعلق بالربط، أما الضمير المستتر فهو قرينة معنوية تؤدي إلى نشوء علاقة الارتباط لا الربط، وعندما يستعمل الضمير البارز للربط فإنه يصبح في حكم الإداة، فهو يؤدي وظيفة في الربط كما تؤدي أدوات المعاني الرابطة، وما يفرّق الضمير البارز عن الأداة أنه يعتمد على إعادة الذكر في الوقت الذي تعتمد فيه أدوات الربط على معانيها الوظيفية^(٢٧).

وذكر الدكتور تمام حسان في كتابه الخلاصة النحوية: "أنّ الضمائر تعتبر من أدوات الإحالة إلى مراجع موجودة داخل النص أو خارجه، ومثلها في الإحالة أسماء الاشارة والأسماء الموصولة لذلك يطلق بعض اللغويين الضميرية على هذه الأسماء المبنية"^(٢٨).

ويعتبر ابن هشام الأنصاري الضمير من الروابط بل أصلها حيث يقول: "الضمائر أصل

الروابط"^(٢٩).

والضمير عند الرضي هو من روابط أجزاء الكلام بعضه ببعض كما يقول: "وهي التي احتاجت إلى الضمير، لأن الجملة في الاصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلها جزء الكلام فلا بدّ من رابطة تربطها بالجزء

٢٥ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٨٣.

٢٦ - انظر: سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١٣٥.

٢٧ - انظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط، ص ١٥٢.

٢٨ - الدكتور تمام حسان، الخلاصة النحوية (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٥م) ص ٩١.

٢٩ - انظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص ٤٧٨.

الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير^(٣٠).

والضمير يكون رابطاً من الروابط الاسمية سواءً أ كان بارزاً أم مستتراً، ويعتبر في بعض المواضع رابطاً للجمله^(٣١).

والضماير في الاصل تأتي للإحالة التي تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه^(٣٢).

والضمير له أهمية ومكانة في الربط بين المسند والمسند إليه إذا كان المسند جملة مثل الخبر، والحال، والصفة، والصلة، وذلك عن طريقة عودته ومرجعه إلى المسند إليه، وللضمير موقع في جملة المسند في النص. وسأتحدث في هذا الفصل عن الربط بالضمير وإعادته في السور المختارة عند الزمخشري وأبي حيان من خلال تفسيريهما الكشاف والبحر المحيط.

وقد ورد الضمير في جملة الخبر من الآيات القرآنية، وليبيان دور الضمير الوارد في جملة الخبر للربط النصي كانت الشواهد التالية لبيان ذلك، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣٣).

عند الزمخشري وأبي حيان الجملة الخبرية في هذا التركيب تدلُّ على تعظيم الله عزَّ وجل، فهذه الآية لبيان الأمر في شأنه تعالى، لأنه يصوِّر ما في الأرحام وهو القادر الوحيد على هذا الفعل، فالغرض من وقوع جملة الصلة هنا خبراً ليتساوى المسند والمسند إليه في التعريف، الجملة التي مسندها فعل إنها تحوي على معنى دلالي وهو (الحدوث) لارتباط هذا الفعل المسند بالزمن، لأن الزمن جزء منه، وهذه الآية تدلُّ على أنه سبحانه تعالى يصور في الأرحام وهذا العمل متجدد ومستمر لا ينقطع ولا يزول، فالحدث هنا على الاستمرارية المستفادة من التعبير بالفعل المضارع في جملته الفعلية، أما الجملة الاسمية التي مسندها (خبر) فإنها تدلُّ على معنى (الثبوت) بسبب علمه بالأشياء وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، وأيضاً هنا إشارة إلى أنه تعالى يقدر على جميع الممكنات^(٣٤).

٣٠ - شرح الرضي، ج ١، ص ١٣٨.

٣١ - انظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط، ص ١٩٦.

٣٢ - انظر: إبراهيم بركات، الإبهام والمبهات في النحو العربي (دار الوفاء، ١٩٧٨م) بدون الطبعة.

٣٣ - سورة آل عمران، الآية: ٦.

٣٤ - انظر: الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٣٣٦. وانظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ١٦٦.

وقد ورد الضمير من حيث كونه يربط جملة الخبر بالمتبداً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰئِرِينَ وَالصَّٰبِغِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٤) ﴿٣٥﴾.

إنَّ الشيخين كما يوجد عندهما اختلاف في الخبر من حيث الاعراب: هل الشرط، أو الجزاء، أو هما؟ فيوجد أيضاً الاختلاف في المعنى الدلالي، فالزنجشري يبيِّن المعنى من ناحيتين: الأولى أن قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٣٦) إخبار عن الذين آمنوا وجزاءهم أن لهم أجراً عند ربهم، والثاني: (مَنْ) هنا بدل من اسم (إِنَّ) فيصبح المعنى هنا حمل على اللفظ فقط. أما أبو حيان فيرى المعنى من زاوية أخرى وعنده الخبر في معنيين، الأول: أن المتبداً وجملة الخبر هنا في معنى الشرط وفي هذه الحالة الخبر لا يحتاج إلى تقدير الرابط؛ لأن الرابط موجود في جملة الخبر في صورة الضمير، والثانية: أن المتبداً والخبر هنا في معنى الموصول والصلة والرابط هنا محذوف (٣٧).

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءَهُمْ﴾ (٣٨)

ويؤخذ من كلام الزنجشري وأبي حيان أن الضمير "هم" في جملة الخبر يرجع ويعود على المتبداً "الذين" لكي يحصل الربط ويكون الكلام مختصراً، فبدلاً من أن يقال "والذين كفروا أولياء الذين كفروا الطاغوت" قيل في هذه الآية الكريمة "أولياءهم" استغناء بالضمير "هم" عن الاسم الموصول وصلته. فنرى أن الخبر في الامثلة السابقة جاء جملةً تحتوي على معنى المتبداً الذي سبق، ولا يتحقق هذا الإحتواء المعنوي الا بوجود عائد أو رابط في جملة الخبر يعود على المتبداً ويربطها به، حيث تستعين جملة الخبر برابط حتى لا يفهم أنها مستقلة عن المتبداً، وهذا الرابط بينهما هو ضمير المتبداً نفسه (٣٩). وقد ورد الضمير في جملة الصلة في القرآن الكريم للربط النصي في الآية التالية:

١ _ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

٣٥ - سورة البقرة، الآية: ٦٢.

٣٦ - سورة البقرة، الآية: ٦٢.

٣٧ - انظر: الكشاف، ج ١، ص ١٤٦. وانظر: البحر المحيط، ج ١، ص ٣٥٣.

٣٨ - سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

٣٩ - انظر: الزنجشري، الكشاف، ج ١، ص ٣٠٤، وأبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٦٢٤.

وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤١﴾

موضع الشاهد في الآية الكريمة قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) الذين موصول وجمله "يؤمنون بالغيب" صلة الموصول والضمير في هذه الجملة ربطت بالموصول حيث يقول الزمخشري: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ" اسم موصول للجمع مع صلته صفة للمتقين، أو مدح منصوب، أو مرفوع بتقدير: أعني الذين يؤمنون، أو هم الذين يؤمنون. وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بـ "أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى" (٤١). ويقول أبو حيان خلال تفسيره لهذه الآية بقوله: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ" مبتدأ فعلى هذا يكون "أُولَئِكَ" مع بعده خبر "الذين" وهذا هو مذهب الاستئناف مع وضوح اتصاله بها قبله وتعلقه به. لا نختار الوجه الأول لانفلاته مما قبله" (٤٢).

من خلال ما قاله الشيخان يتبين لنا، أن المعنى الدلالي يختلف عندهما فجعل الزمخشري هنا قوله الذين يؤمنون بالغيب الموصول للجمع، أي لجماعة الذكور ومختصا بالعقلاء، وهذه الجملة صفة للمتقين يعني هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات مختصون بالتقوى، والمراد بهم كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم أما الصلة فإنما جيء بها لتكملة معنى الاسم الموصول، ولا يتم معناها إلا بها، وليس لها محل من الاعراب، و يوجد في الصلة عائد يعود إلى الموصول، ويرفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره والمراد به جعل اختصاصهم بالفلاح والهدى تعريضا بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يفهمون أنهم على الهدى، ويطمعون أنهم يحصلون على الفلاح عند الله تعالى.

وأما أبو حيان فذكر وجها واحدا وهو أن قوله "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ" وقع هنا مبتدأ و "أُولَئِكَ" على هدى من ربهم" خبره، فخصّ المتقين بأن الكتاب هدى لهم. فالمعنى الدلالي عنده أن الذي يكون مكتملاً بالايان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والفوز بالفلاح والنجاة لا بد أن يكون على هدى من ربه.

ومن الربط بالضمير في الجملة الاسمية، وهو الربط بالضمير العائد على الموصول: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ

الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴿٤٣﴾

٤٠ - سورة البقرة، الآية: ٣-٥.

٤١ - الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٣٧.

٤٢ - البحر المحيط، ج ١، ص ٧٢.

٤٣ - سورة البقرة، الآية: ١٢١.

موضع الشاهد في الآية الكريمة قوله: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ" وفيه "الذين" وقع اسم موصول و(آتيناهم) جملة فعلية صلة الموصول فيها ضمير عائد إلى الموصول وللفاعل صلة وثيقة مع الموصول؛ لأنه صلته كما فهم من كلام الزمخشري وأبي حيان.

يقول الزمخشري: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ" هم مؤمنو أهل الكتاب يتلونه حَقَّ تِلَاوَتِهِ لا يجرّفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك يُؤْمِنُونَ بكتابتهم دون المحرفين، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْمُحْرَفِينَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ حيث اشتروا الضلالة بالهدى" (٤٤).

ويقول أبو حيان: "والذين" مبتدأ، فإن أريد به الخصوص في من اهتدى، صح أن يكون "يتلونه" خبراً عنه، وصح أن يكون حالاً مقدرة" (٤٥).

هكذا نرى من كلاميهما، أن الآية الكريمة تشتمل على الاسم الموصول الذي وقع مبتدأ وصلته "آتيناهم الكتاب" مشتملة على الضمير الذي يرجع إلى الموصول والضمير في الصلة يدل على الإيجاز والاختصار.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً وَأْتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ (٤٦)

موضع الشاهد في الآية الكريمة قوله، "اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" فيه ورد "الذي" اسم موصول للمفرد المذكر وجملة فعلية مع الضمير المتصل (خلقكم) صلته تربطه به لإكمال المعنى المقصود كما يقول الزمخشري عند تفسيره للآية الكريمة قوله: "يا أَيُّهَا النَّاسُ يا بني آدم خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها، وخلق منها زوجها والمعنى: خلقكم من نفس آدم، لأنهم من جملة الجنس المفرع منه، وخلق منها أمكم حواء وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً غيركم من الأمم الفاتئة للحصر" (٤٧). ويوافقه أبو حيان (٤٨).

ويلاحظ من كلام الزمخشري، أن في الصلة ضميراً متصلاً منصوباً (كم) ذا صلة وثيقة بالموصول

٤٤ - الزمخشري، الكشف، ج ١، ص ١٨٣.

٤٥ - أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٥٩١.

٤٦ - سورة النساء، الآية: ١.

٤٧ - الكشف، ج ١، ص ٤٦١.

٤٨ - وانظر: البحر المحيط، ج ٣، ص ٤٩٥.

ويتم المعنى به، ويزيل إبهام الموصول وهو: "أن اتقوا الله الذي خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء وبث منها رجلاً كثيراً ونساءً غيركم" من الأمم الفاتية للحصر إن الله سبحانه خلقنا فيجب علينا إطاعة أوامره وترك نواهيه؛ لأننا عبده وخلقنا الأنعام والإحسان من الله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾^(٤٩).

فموضع الشاهد في الآية الكريمة قوله (بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) فيه (التي) اسم موصول للمؤنث المفرد و"هي أحسن" جملة الصلة مشتملة على ضمير يعود إلى الموصول ويزيل جملة الصلة الإبهام كما يوضح من قول الزمخشري و أبي حيان "الا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل باليتيم، وهي حفظه وتثميته والمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه بالقسط بالسوية والعدل"^(٥٠).

"أي بالخصلة التي هي أحسن في حق اليتيم ولم يأت الا بالتي هي حسنة، بل جاء بأفعل التفضيل مراعاةً لمال اليتيم، وأنه لا يكفي فيه الحالة الحسنة، بل الخصلة الحسنى وأموال الناس ممنوع من قربانها"^(٥١).

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾^(٥٢).

في هذه الآية الكريمة المذمة والإيذاء للزاني والزانية، وإقامة الحد، ووقعت جملة الصلة فعلا مضارعا في قوله "وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ" وفيها ضمير عائد إلى الموصول "الذان يأتیان إلى الفاحشة" المثني للمؤنث والمذكر ويرتبط به لإكمال المعنى، ونفهم هذا من كلام الزمخشري حيث يقول: قوله "والذان يأتیانها منكم يريد الزاني والزانية فأذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما: أما استحييتما، أما خفتما الله فإن تابا وأصلحا وغيرا الحال فأعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة، فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب"^(٥٣).

هكذا نرى من كلام الزمخشري، أن جملة الصلة مشتملة على الضمير العائد إلى الموصول المثني للمذكر والمؤنث والمراد بها عقوبة الزنا؛ لأن جعلت للنساء عقوبة، وهي الحبس في البيوت مع الإيذاء وللرجال أيضا عقوبة على الزنا، وهي عقوبة الأذى فالضمير في جملة الصلة له صلة وثيقة بالموصول ويكمل

٤٩ - سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

٥٠ - الكشاف، ج ٢، ص ٧٩.

٥١ - البحر المحيط، ج ٤، ص ٦٨٨.

٥٢ - سورة النساء، الآية: ١٦.

٥٣ - الكشاف، ج ١، ص ١٦٢.

المعنى المراد، ولكن عند أبي حيان كلام مختلف فقد ذكر أن جملة الصلة والموصول وقعت هنا مبتدأ.

وورد الضمير في جملة الصلة رابطاً في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً

ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٥٤).

إن قوله الجملة الشرطية: "لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ" وقعت هنا صلة "الذين"، وجملة "خافوا عليهم" جواب "لو" ويوجد في الصلة ضمير الذي يرجع إلى الموصول ويربطها بالموصول كما قال ويبيّن الزمخشري بقوله "لو" مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم: الأوصياء، أمروا بأن يخشوا الله"^(٥٥).

أما أبو حيان فذكر عند تفسيره لقوله الكلام نفسه حيث قال "وَصَلَةُ الَّذِينَ الْجُمْلَةُ مِنْ لَوْ وَجَوَابَهَا" وزاد عليه شيئاً وقال لا يلزم في الصلة إلا إن كانت الصلة ماضية في المعنى واقعة بالفعل. إذ معنى "لو تركوا من خلفهم"، أي ماتوا فتركوا من خلفهم، فلو كان كذلك للزم التأويل في لو أن تكون بمعنى: "أن" إذ لا يجامع الأمر بإيقاع فعل من مات بالفعل، أما إذا كان ماضياً على تقدير يصح أن يقع صلة، وأن يكون العامل في الموصول الفعل المستقبل، نحو قولك: "ليزرنا الذي لو مات أمس بكيناه". وأصل "لو" أن تكون تعليقاً في الماضي، ولا يذهب إلى أنه يكون في المستقبل بمعنى "إن"، إلا إذ دلّ على ذلك قرينة؛ لأن جواب "لو" فيه مستتر قوله: "لا يلفك"^(٥٦)، ووافقه السمين الحلبي في رأيه^(٥٧).

من خلال ما قاله الشيخان يتبين لي، أن في جملة صلة الضمير "لو تركوهم ضعافاً" الذي يعود إلى الموصول، وجملة الصلة هي الواقعة الجملة الشرطية تدلّ على أن الوصية يجوز بجميع المال عندما لم يكن له وارث، ويراد بها هؤلاء الذين يخشون من صفاتهم لو تركوا ذرية ضعافاً فليخافوا عليهم، فيوجد هنا أمر للأوصياء أن يخشوا الله تعالى أو يخافوا على أولادهم، والآية على هذا مرتبطة بما قبلها قوله (وَابْتَلُوا الْيَتَامَى)؛ لأنها وصية للأوصياء ولا يوجد في كلاميها اختلاف.

٥٤ - سورة النساء، الآية: ٩.

٥٥ - الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٤٧٨.

٥٦ - أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص ٢٣٧. وانظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، تفسير مفاتيح الغيب، ج ٩، ص ٥٠٥.

٥٧ - انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط (دمشق: دار القلم) ج ٣، ص ٥٩٢.

﴿وَأَلَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (١٥) (٥٨)

ذكر الزمخشري هنا أن قوله "وَاللَّاتِي يَأْتِيَنِ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ" تشتمل على جملة الصلة والموصول والمراد بها ارتكاب الزنا؛ لأن المرأة عندما ترتكب هذا الفعل فلا بد أن تمسك محبوسة في البيوت، ولا بد من شهادة أربعة رجال مسلمين على أنها فعلت هذا الفعل. وفهم من كلام الزمخشري أن قوله "اللاتي" هنا الاسم الموصول لجمع المؤنث والجملة "يَأْتِيَنِ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ" مشتملة على الفعل المضارع وما بعده صلة الموصول، ويوجد فيه ضمير الجمع الذي يرجع إلى الاسم الموصول، ويربط هذا الضمير جملة الصلة بالموصول، وهذا هو ما فهم من كلام الزمخشري (٥٩).

وتناول أبو حيان إعراب جملة الصلة والموصول من زاوية أخرى وجاز دخول الفاء في الخبر؛ لأن المبتدأ موصول بفعل مستحق به الخبر، وَهُوَ مُسْتَوْفٍ شُرُوطٍ مَا تَدْخُلُ الْفَاءُ فِي خَبْرِهِ، فَأَجْرِي الْمَوْصُولِ لِذَلِكَ مَجْرَى اسْمِ الشَّرْطِ (٦٠).

يختلف المعنى الدلالي عند الشيخين، فقد تناول الزمخشري معنى الآية الكريمة أن جملة الصلة والموصول هنا يدل على ارتكاب المرأة الزنا والشهادة عليها بأربعة رجال، أما رأي أبي حيان فيفيد تعليق حصول مضمون جملة الخبر المنزل منزلة جواب الشرط على حصول مضمون الصلة المنزل منزلة جملة الشرط، فيفيد أن ذلك مستمر الارتباط والتعليل في جميع أزمنة المستقبل التي يتحقق فيها معنى الصلة فيحصل ربط جملة الصلة بالموصول.

وفي قوله تعالى ورد الضمير للربط النصي: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣) (٦١)

فموضع الشاهد في قوله تعالى: "وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" و يرى الزمخشري، أن هذه الجملة الاسمية

٥٨ - سورة النساء، الآية: ١٥.

٥٩ - انظر: الكشاف، ج ١، ص ٤٨٧.

٦٠ - البحر المحيط، ج ٣، ص ٥٥٥.

٦١ - سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

وقعت هنا حالا من فاعل "نعبد" أو من مفعوله "إلهك" لأن الضمير في "له" يرجع إليه ونفهم من قوله أن الضمير "الهء" يربط هنا جملة الحال بصاحبها وهو فاعل في "نعبد" أو مفعول في "إلهك" لوجود ضميريهما، وعنده آراء أخرى أيضاً فهو يقول: "ويجوز أن تكون هذه الجملة معطوفة على "نعبد" ويجوز أن تكون اعتراضية مؤكدة لمضمون ما سبق"^(٦٢).

ولكن عند أبي حيان الأرجح أن تكون الجملة الاسمية هنا معطوفة على "نعبد" وفي رأيه أن قوله "وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" فيها الواو للربط بينه وبين قوله: "قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلهًا وَاحِدًا"، وهو يذكر أن الزمخشري أجاز أن تكون هذه الجملة اعتراضية مؤكدة أي ومن حالنا أنا نحن له مسلمون مخلصون التوحيد أو مدعونون"^(٦٣).

ويوجد عند الزمخشري وأبي حيان اختلاف في المعنى الدلالي لهذا الشاهد، فقد أجاز الزمخشري، أن قوله "ونحن له مسلمون" وقعت هنا جملة حالية اعتراضية لتوكيد ما سبق الكلام والمراد بها: ومن حالنا أنا نحن له مسلمون ومخلصون التوحيد أو مدعونون، ولكن عند أبي حيان جاءت هذه الجملة بمعنى العطف إذاً تكون هذه الجملة جواباً لأية جملتين إحداهما الذي سأل عنها، والثانية مؤكدة لما أجابو به؛ لأن المراد بهذه الجملة "ونحن له مسلمون" أي منقادون لأن ذكر الجواب بالفعل الذي هو "نعبد"؛ لأن العبادة تكون متجددة دائماً، وهنا جاءت هذه الجملة الاسمية المخبر عن المبتدأ باسم الفاعل الدال على الثبوت؛ لأن الانقياد لا ينفكون عنه دائماً.

وهكذا وردت الجملة الاسمية في موضع الحال بالضمير الذي يربطها بصاحب الحال في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٦٤)

فجاءت في هذه الآية الكريمة الجملة الاسمية وهو قوله: "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" وفي رأي الزمخشري "بعضكم" مبتدأ، و"عدو" خبره، و"لبعض" يتعلق بـ"عدو" والجملة حال من الواو في "اهبطوا" أي متعادين يضل بعضكم بعضاً، وهي ترتبط بالضمير فقط، وهو الكاف والميم في "بعضكم" والمراد هنا من

٦٢ - الكشاف، ج ١، ص ٢٢٠.

٦٣ - انظر: البحر المحيط، ج ٢، ص ٢٢٢.

٦٤ - سورة البقرة، الآية: ٣٦.

رأي الزمخشري أن الرابط اللفظي بين الحال وصاحبها هو الضمير فقط في "بعضكم" فظن الزمخشري أن هذا الكلام خطاب لآدم وحواء خاصة وهو عبر عنها بالجمع^(٦٥).

وأما أبو حيان فعنده هذه الجملة الاسمية، جاءت هنا في موضع الحال، والمراد بها "اهبطوا متعادين" والعامل هنا "اهبطوا" وصاحب الحال هو ضمير الجمع فيه وهذه الجملة الحالية لا يحتاج إلى الواو الرابطة؛ لأن الضمير موجود في جملة الحال للربط، ويزيد أبو حيان عليه نصه، أن الجملة الاسمية عندما تأتي في صورة الحال يكثر فيها الربط بالواو والضمير معا دون انفراد الضمير^(٦٦).

إن الجملة الحالية هنا مخاطبة للجمع والمراد بهم: آدم وحواء وذريتهما فلا يصح حمله على الاثنين، وهذا الذي اختاره الزمخشري أضعف الأقوال في الآية؛ لأن العداوة التي ذكر الله تعالى، إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما^(٦٧). فالمعنى الدلالي عندهما واحد وليس عندهما اختلاف، وهو أن الجملة الاسمية الحالية هنا تدل على الجمع.

فهكذا رأينا أن النسبة الحالية هنا نسبة تقليدية وليست نسبة إسنادية، ويحتمل أن يراد بالبعض عداوة الإنس والجن، إن كان الضمير في جملة الحال لآدم وحواء وإبليس فإن كان هكذا فيكون إعلاما لهما بسبب عملهما، وجاءت هنا كلمة "عدو" بدلا من كلمة "أعداء" لوجهين: الأول أن "بعض وكل" يخبر عنهما بالواحد والثاني: أن "عدو" جاء مفردا بدلا من الجمع بمعنى أعداء، وإن كان الضمير في "اهبطوا" لآدم، وحواء، وإبليس، فيحتمل أن يراد بها عداوة بعض لبعض من نوع البشر^(٦٨).

ووردت واو الحال والضمير معاً في القرآن الكريم عدة مرات لترتبط جملة الحال بصاحبها كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٦٩)

فموضع الشاهد في هذه الآية الكريمة قوله تعالى: "وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً"

٦٥ - الكشاف، ج ١، ص ٢٣٦.

٦٦ - انظر: البحر المحيط، ج ١، ص ٢٥٨.

٦٧ - الكشاف، ج ١، ص ٢٣٦.

٦٨ - انظر: البحر المحيط، ج ١، ص ٢٥٨، والكشاف، ج ١، ص ٢٣٦.

٦٩ - سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

فالزخشي يبيّن الفرق بين الواوين، وفي رأيه الواو الأولى في "ونحن أحق بالملك منه" جاءت هنا لبيان الحال، والثانية، وهو قوله: "ولم يؤت سعة" لعطف الجملة على الجملة الأولى، وهو "ونحن أحق بالملك منه" الواقعة حالاً^(٧٠).

أما أبو حيان فوافق الزخشي وهو أيضاً يجعل قوله: "ونحن أحق بالملك منه" جملة حالية اسمية عطف عليها بالجملة الفعلية الحالية، والمراد بها الذي يجتمع فيه هذان الوصفان فمن هو أحقُّ منه^(٧١).

تشمّل جملة الصفة على العائد الذي يرجع إلى الموصوف ويربطها به في الآية الآتية: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ

فِي رَبِّ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٧٢)

موضع الشاهد في الآية الكريمة قوله: "مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ" فهنا جملة الصفة مشتملة على الرابط الذي يرجع إلى الموصوف ويربطها به، وعند الزخشي الضمير في قوله: "مِنْ مِثْلِهِ" متعلق بسورة صفة لها، إلى ماذا يعود؟ وفيه توجيهان عند الزخشي: "الأولى: أنه عائد إلى «مَا» في قوله: "مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا أَيُّ فَأْتُوا بِسُورَةٍ" مِمَّا هُوَ عَلَىٰ صِفَتِهِ فِي الْفَصَاحَةِ وَحُسْنِ النَّظْمِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى «عَبْدِنَا» أَيُّ فَأْتُوا مِمَّنْ هُوَ عَلَىٰ حَالِهِ أَنَّهُ بَشَرًا أَمْيَالًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ الْكُتُبَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْعِلْمَاءِ"^(٧٣). فنرى أن الزخشي عنده توجيهان لضمير في جملة الصفة ويربط هذا الضمير جملة الصفة بالموصوف.

أما أبو حيان فهو يقول: اختار الزخشي أن الضمير في "مثله" يعود إلى المنزل وهو "ما" في قوله "مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا" لعدة أسباب لقوله تعالى: "فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ" لأن الآيات العديدة الآتية تدل على هذا وهي: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ﴾^(٧٤)، ﴿عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾^(٧٥) وإن القرآن

٧٠ - انظر: الكشاف، ج ١، ص ٢٩٢.

٧١ - انظر: البحر المحيط، ج ٢، ص ٥٧٥.

٧٢ - سورة البقرة، الآية: ٢٣.

٧٣ - الكشاف، ج ١، ص ٩٩، وانظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب التفسير الكبير (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) ط ٣، ج ٢، ص ٣٤٩، وانظر: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ووعائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ) ط ١، ج ١، ص ١٩٠.

٧٤ - سورة هود، الآية: ١١.

٧٥ - سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

الكريم نزل وأسلوبه وترتيبه أحسن، فعندما يرجع الضمير إلى المنزل يجعل هذا الاسلوب أحسن، والكلام تعلقه بالمنزل ليس بالمنزل عليه^(٧٦).

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٧٧) موضع الشاهد في الآية الكريمة قوله تعالى: "يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ" حيث وقعت هذه الجملة صفة لقوله "وأخرى كافرة" ويبيّن أبو حيان عن الضمير الذي يربط جملة الصفة بالموصوف في قوله "يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ" احتمالات كثيرة وهي:

الأولى: ضمير الجر في "مثليهم" يرجع إلى الكافرين وتقديره: ترون أيها المؤمنون الكافرين مثلي أنفسهم في العدد، لأنهم رأوا الكفار كما هم كانوا في عددهم وكانت معهم نصره من الله. والثاني: ويمكن أن يكون عودة الضمير في "مثليهم" إلى الفئة المقاتلة والمراد بها: ترون أيها المؤمنون الفئة الكافرة مثل الفئة المقاتلة.

الثالث: ويحتمل أن الخطاب هنا للمؤمنين والضمير المنصوب في "تروهم" للكافرين والمجرور للمؤمنين والتقدير: ترون أيها المؤمنون الكافرين مثلي المؤمنين.

ومن الاحتمالات الاربعة لأبي حيان، يظهر لنا أن الرابط بين جملة الصفة والموصوف هو الضمير^(٧٨). ولكن الإمام الزمخشري يذكر فقط عن المعنى الدلالي في قوله تعالى: "وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ" ويقول: في هذه الآية الخطاب للمشركين الذين كانوا من قريش في مجموعتين اتصلتا يوم بدر وهم يرون المسلمين مثل عددهم، وكانت عددهم قريباً من ألفين وعدد المسلمين كانت قليلة تقريبا ستمائة ونيفاً وعشرين، ولكن الله أرى الكفار عدد المسلمين كثيرة مع قتلهم، ليترك الكفار عن القتال فكان ذلك مساعدة من الله للمسلمين^(٧٩).

وقد جاءت الصفة بالضمير للربط والتوكيد لما قبله في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَذُعُ

٧٦ - انظر: الزمخشري، البحر المحيط، ج ١، ص ٣٣٨.

٧٧ - سورة آل عمران، الآية: ١٣.

٧٨ - تفسير البحر المحيط، ج ٢، ص ٦٣٤.

٧٩ - تفسير الكشاف، ج ١، ص ٣٤٠.

لَنَارِكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٦﴾ (٨٠).

فموضع الشاهد في الآية: "لونها تسرُّ الناظرين"، حيث يذكر أبو حيان أن "تسرُّ الناظرين" هذه الجملة صفة للبقرة، والضمير في "تسرُّ" عائد على البقرة، وهو يقول أيضاً أن بعض المفسرين بينوا في إعراب هذه الجملة وجوها وهي:

١- لونها فاعل مرفوع بفاعل، وفاقع صفة للبقرة

٢- لونها مبتدأ وخبره فاقع

٣- لونها مبتدأ وتسرُّ الناظرين خبر

٤- أنه يراد به المؤنث، إذ هو الصفرة، فكأنه قال صفرتها تسرُّ الناظرين فحمل على المعنى (٨١).

ويقول أبو حيان: "تسرُّ الناظرين" صفة للبقرة ومن جعلها خبراً وفيه تكلف، وجاء هذا الوصف بالفعل ولم يجرى باسم الفاعل وهذا الفعل هنا يُشعرُ بالحدوث والتجدد، ولما كان لونها من الأشياء الثابتة التي لا تتجدد جاء الوصف به بالاسم لا بالفعل وتأخر هذا الوصف عن الوصف قبله، لأنه ناشئ عن الوصف قبله" (٨٢).

أما الزمخشري فعنده فائدة في ذكر اللون هنا التوكيد؛ لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة، وقوله "تسرُّ الناظرين" هذه جملة الصفة تدلُّ على التوكيد لما قبلها وهي لون الصفرة (٨٣).

ونرى أن النعت في هذه الآيات الكريمة جاءت في صورة الجملة يشتمل على الضمير الذي يرجع إلى الموصوف ويؤدي وظيفة الربط في الآيات بين الصفة والموصوف.

٨٠ - سورة البقرة، الآية: ٦٧.

٨١ - تفسير البحر المحيط، ١/ ٤٠٠، وانظر: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيشي أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل، المعروف بالخازن (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ) ط ١، وانظر: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي المرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (بيروت: دار طوق النجاة) ط ١، ج ١، ص ٥٠١.

٨٢ - تفسير البحر المحيط، ج ١، ص ٤٠٠.

٨٣ - تفسير الكشاف، ج ١، ص ١٧٨، وانظر: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، تفسير الماوردي النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية) ج ١، ص ١٤٠.

وفي قوله تعالى جاء الضمير لربط الجملة المفسرة بالمعمول ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتَعَهُ قَلِيلًا ﴾^(٨٤)

يرى الزمخشري أن أسلوب الاشتغال أسلوب خاص، جاء على صورة المبتدأ والخبر، جاء في الكشف عن قوله تعالى: "ويجوز أن يكون "وَمَنْ كَفَرَ" مبتدأ متضمنا معنى الشرط. وقوله: "فَأَمْتَعَهُ" جوابا للشرط، أي ومن كفر فأنا أمتعه"^(٨٥).

ويقول أبو حيان: "قرأ ابن عباس ومجاهد وغيرهما "فَأَمْتَعَهُ قَلِيلًا"، و"مَنْ" على هذه القراءة يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، على أن تكون موصولة أو شرطية، وفي موضع النصب على الاشتغال على الوصل أيضاً"^(٨٦).

عند الزمخشري و أبي حيان في قوله "أَمْتَعَهُ" على أسلوب الاشتغال و فيه ضمير يرجع إلى "ومن كفر" ويرتبط به ويحصل معنى العموم؛ لأن كلمة "من" تدل على العموم لأن المراد بهذه الكلمة الكافر، فإن نعمته في الدنيا تنقطع و عند الموت تتخلص منه إلى الآخرة ولا تفيده.

قد يكون الاسم المشتغل عنه ضميراً منفصلاً، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ ﴾^(٤٠)

﴿ وَإِنِّي فَأَنْتُونِ ﴾^(٤١)

وفي هذه الآية الكريمة جاء أسلوب الاشتغال مشتملاً على الضمير المنفصل، ويذكر عنه أبو حيان في البحر المحيط "وَإِيَّايَ فَأَرْهَبُونِ" فيه "إِيَّايَ" ضمير منفصل منصوب بفعل محذوف مقدراً بعده لانفصال الضمير تقديره "وَإِيَّايَ أَرْهَبُوا"، وهو يقول: وفي محجة ضَمِيرُ نَصْبٍ مناسبة لما قبله^(٨٧).

ويقول أبو حيان أَنَّا لَا نَذْهَبُ إِلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الزمخشري، ويؤكد الزمخشري في إفادة الاختصاص من "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" ومعنى ذلك أَنَّ الكلامَ جملتان في التقدير، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ، جملة واحدة، وَالْإِخْتِصَاصُ مُسْتَفَادٌ عِنْدَهُ مِنْ تَقْدِيمِ المَعْمُولِ عَلَى الْعَامِلِ^(٨٨).

ما قال صاحب الكشف: فهو أوكد في إفادة الاختصاص من "إياك نعبد" لأن احتمال كون التقديم

٨٤ - سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

٨٥ - الكشف للزمخشري، ج ١، ص ١٨٦.

٨٦ - البحر المحيط، ج ١، ص ٦١٤.

٨٧ - سورة البقرة، الآية: ٤٠-٤١.

٨٨ - انظر: البحر المحيط، ج ١، ص ٢٨٤.

٨٩ - الكشف، ج ١، ص ١٣١.

للتقوى قد صار مع الاشتغال ضعيفاً جداً، والاشتغال ليس ضرورياً أن يكون متعيناً للتخصيص، فإنه قد يأتي بلا تخصيص.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾^(٩٠).

يذكر الزمخشري عن قوله "ذلك نتلوه عليك": "ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمرة تفسيره نتلوه

وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ الْقُرْآنَ، وصف بصفة من هو سببه، أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه"^(٩١).

ويقول أبو حيان: "ويجوز أن يكون للتبعيض وجوزوا أن يكون ذلك منصوباً بفعل محذوف يُفسره

مَا بَعْدَهُ، ويجوز أن تكون للتبعيض وجوزوا أن يكون ذلك منصوباً بفعل محذوف يفسره ما بعده، فيكون من

باب الاشتغال أي: نَتْلُو ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ، والرفع على الابتداء أَفْصَحُ؛ لِأَنَّهُ عَرِيٌّ مِنْ مُرَجِّحِ النَّصْبِ عَلَى

... الْإِسْتِعْاَلِ فَرِيدٌ ضَرْبُهُ، أَفْصَحُ مِنْ: زِيدَا ضَرْبَتَهُ، وَإِنْ خَالَ عَرَبِيًّا، وَعَلَى هَذَا الْإِعْرَابِ يَخُونُ: نَتْلُوهُ، لَا مَوْضِعَ

لَهُ مِنَ الْإِعْرَابِ؛ لِأَنَّهُ مَفْسَّرٌ بِذَلِكَ الْفِعْلِ الْمَحْذُوفِ، وَيُخُونُ. مِنْ: الْآيَاتِ، حَالًا لِمَنْ صَمِّرَ النَّصْبِ فِي: نَتْلُوهُ.

وَأَجَارَ الزَّمْخَشَرِيُّ أَنْ يَكُونَ: "ذَلِكَ"، بمعنى الذي، و: "نتلوه"، صلته. و: "من الآيات"، الخبر"^(٩٢).

ويبدو لنا من خلال ما سبق أن هذا الأسلوب يتضمن أنماطاً من التراكيب الخاصة ذوات الدلالات

المخصصة، يجمعها عود الضمير المفعول به أو المتعلق بالمفعول به على الاسم المتقدم على فعله، فذلك يمكننا

أن نسميه "أسلوب عود الضمير على ما تقدم فعله أو مناسبه".

الخاتمة ونتائج البحث

يُعد كتابا الكشاف والبحر المحيط مراجع هامة من مراجع النحو والتفسير لدراسة نحوية دلالية ، وأفاض

الزمخشري وأبو حيان في شرح الآيات القرآنية ولم يترك مسألة "الربط النصي بالضمير" الا وجمعا فيها ما قيل ،

فكان بذلك أكثر افهاماً وتمحيصاً ، ويعالج البحث الربط النصي بالضمير في تفسير القرآن الكريم عند

الزمخشري وأبي حيان دراسة نحوية دلالية.

بعد هذا الجهد المتواضع الذي حاولت من خلاله بحث الجوانب المختلفة لموضوع "الربط النصي بالضمير في

القرآن الكريم عند الزمخشري وأبي حيان" أورد فيما يلي جملة من الاستنتاجات التي كشفت عنها هذه

الدراسة:

١- تعقب أبو حيان الزمخشري في مسائل كثيرة في استخدام الضمير للربط النصي ومعناه الدلالي ، وكان

التعقب في النحو والدلالة وأيضاً خالف في بعض المسائل النحوية وهذا ما تناولته.

٩٠ - سورة آل عمران، الآية: ٥٨.

٩١ - الكشاف، ج١، ص٣٦٧.

٩٢ - البحر المحيط، ج٣، ص١٨٣.

٢- إن الربط النصي يمثل العلاقة النحوية بين أجزاء الكلام وتُستعمل فيها الضمير بارزاً أو مستتراً، والربط بالضمائر هي وسائل التلاحم في جسد اللغة التي يُولد فيها النص المتناسك، فالواسطة اللفظية بين الجمل تأتي لصيانة اللسان من اللبس لفهم الارتباط بين معنيين، وهذه الواسطة إما أن تكون ضميراً بارزاً منفصلاً أو متصلاً كالخبر والحال والصفة والصلة والاسم المنصوب على سبيل الاشتغال، وإما أن تكون أداة من أدوات الربط كالحروف العاطفة والأسماء الشرطية وأدوات القسم.

٣- الربط بالضمير وما يجري مجراه يسبق ذلك تمهيد نظري تناول مفهوم الضمير وأشكاله، فأما ما يجري مجرى الضمير فالخبر الجملة يتصل ضميراً، وكذا جملة الصلة والنعته الجملة وجملة الحال وجملة الاشتغال، وخرج البحث من هذا أن الربط بالضمير لا يكون على مستوى الجمل فقط، بل يكون على مستوى النص كله.

٤- لم يقتصر عند الزمخشري وأبي حيان دور الضمائر على الربط بين الجمل والايات، أو تحقيق الترابط النصي على مستوى السورة فحسب، بل كان لها بالاضافة إلى ذلك دور بارز في التفسير، وإزالة اللبس والإبهام عن كثير من السياقات، وذلك من خلال التعرف على مرجع الضمير، ومدى الانسجام المعنوي بينهما، فيكون جسراً تركيبياً دلاليًا بين أجزاء الكلام، بل عاملاً قوياً على إزالة أي نوع من الإبهام (الالباس) لدى المخاطب حين يتكرر.

٥- والضمائر عندهما هي الاصل في الربط بين الأسماء، فالضمائر هي تعدد الوسيطة الأكثر قوة في صنع الربط الدلالي للنص القرآني في السور المختارة وتجسيد وحدته العامة ولها قدرة على إيجاد التماسك والترابط وتحقيق الوحدة النصية.

٦- إن الخبر في الامثلة السابقة جاء في صورة الجملة تحتوي على معنى المبتدأ الذي سبق، ولا يتحقق هذا الإحتواء المعنوي الا بوجود عائد أو رابط في جملة الخبر يعود على المبتدأ ويربطها به، حيث تستعين جملة الخبر برابط حتى لا يفهم أنها مستقلة عن المبتدأ، وهذا الرابط بينهما هو ضمير المبتدأ نفسه.

٧- ونرى في الآيات السابقة أن جملة الصلة جاءت هنا مرتبطة بالموصول وتشتمل على الضمير الذي يرجع إلى الموصول والذي يطابقه مما يدل على أن الصلة من مكتملات المعنى وهذا الضمير ذو صلة وثيقة بالموصول كما ظهر لي في الجانب الدلالي.

٨- إن الحال في الآيات السابقة جاءت في صورة الجملة الوصفية لبيان حالة ما قبلها من فاعل أو مفعول و تحتوي الجملة الحالية على العائد في صورة الواو أو الضمير الذي يرجع إلى صاحبها ويربطها بها، وحصل الربط واتصال المعنى بين الجملتين والا كانتا منفصلتين لا صلة بينهما، ومن خلال هذا يتبين لنا كيف قام الضمير بارزاً ومستتراً بوظيفة الربط في النص وأشاع الاتساق في كامل أجزاء النص، فدور الضمير تعدى أثره من مستوى الجملة الواحدة إلى مستوى النص.

٩- ونرى أن النعت في هذه الآيات الكريمة جاءت في صورة الجملة ويشتمل على الضمير الذي يرجع إلى الموصوف ويؤدي وظيفة الربط في الآيات بين الصفة والموصوف.

١٠- ويبدو لنا من خلال ما سبق أن ربط الجملة المفسرة بالمعمول أسلوب يتضمن أنماطاً من التراكيب الخاصة ذوات الدلالات المخصوصة، يجمعها عود الضمير المفعول به أو المتعلق بالمفعول به على الاسم المتقدم على فعله، فذلك يمكننا أن نسميه (أسلوب عود الضمير على ما تقدم فعله أو مناسبه).

وفي الاخير لا أدعي أنني استوفيت الحديث عن "الروابط اللفظية"، غير أنني اجتهدت في ذلك، وأمل بعد هذا جميعه أن أكون حققت ما أرجوه، والله ولي التوفيق، عليه توكلت وإليه المصير.